

سيرة ومسيرة

حوار في التاريخ مع د. الطاهر بونابي

A historical interview with D. Taher BOUNABI



حاورة/ إلصالح بن سالم،

جامعة البشير الإبراهيمي برج بوعريج

mohammedelsalah2020@gmail.com



مقدمة:

تقع بلدة عين تاغروت بالمخرج الشرقي لولاية برج بوعرييج، وتبعد عن عاصمة الولاية بحوالي 30 كلم، وتعتبر من البلديات العريقة، فتاريخ تأسيسها يعود لـ 27 ديسمبر 1880م، وهي بذلك ثاني أقدم بلديات الولاية بعد بلدية برج بوعرييج التي يعود تاريخ نشأتها إلى سنة 1867م.

بهذه البلدة نشأ وترعرع الدكتور المجاهد جمال قنان القادم إليها برفقة أسرته من بلدة قنزات، وبها ولد الدكتور الطاهر بونابي سنة 1964م في أسرة محترمة وعريقة، وقد تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط بمسقط رأسه قبل أن يحط رحاله بثانوية رأس الوادي التي حاز بها على شهادة البكالوريا شعبة الآداب عام 1985م ليختار تخصص التاريخ عن رغبة وحب كبيرين، وقد التحق بجامعة قسنطينة التي نال منها شهادة الليسانس سنة 1989م، وبقسنطينة كان اللقاء مع أستاذة الأجيال المؤرخة القديرة بوبة مجاني التي صقلت موهبته في التاريخ الوسيط، وأهلته بعدها لحيازة شهادة الدراسات المعمقة عام 1991م، وشهادة الماجستير عام 1999م من جامعة الجزائر، ثم شهادة الدكتوراه عام 2009م، لرقى إلى مصاف الأستاذية عام 2017م.

وعلى المستوى المهني بعد حيازة الدكتور بونابي الطاهر على شهادة الليسانس في التاريخ والجغرافيا، أهلته لشغل منصب أستاذ في التعليم الثانوي سنة 1989م برأس الوادي ثم ببئر قاصد علي. قضى خلالها في التعليم مدة 13 سنة. قبل أن يحط رحاله بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة سنة 2002م، والتي لا يزال يعمل بها لوقتنا الحالي.

وقد تخصص الدكتور الطاهر بونابي في التاريخ الوسيط، واشتغل أكثر على التاريخ الديني والثقافي والفكري للجزائر عبر العصور، أثث خلالها المكتبة التاريخية الجزائرية بعدد المؤلفات المهمة نذكر منها:

- التصوف في الجزائر خلال القرنين 12-13 م.

- عصر المتصوفة في المغرب الأوسط، 4 ج.

- الظاهرة الصوفية العرفانية في المغرب الأوسط.

- مظاهر المجال والدين والمجتمع بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

- ملامح النشاط العلمي والروحي والسياسي بقسنطينة.

- البيت الباديبي مسيرة علم ودين وسياسة.

- المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد بن باديس.

- المرأة والخطاب الصوفي.

كما يشرف حاليا على طبع ونشر مجموعة من الأعمال التاريخية (بين تأليف وتحقيق)، واحتفاء بالمنجز العلمي لهذا الباحث الجاد ارتأينا أن نجري معه هذا الحوار، لنسلط فيه الضوء على بعض من مسيرته العلمية والمهنية لقراء مجلة العمران البشري.

س/- لقد كان الدكتور الطاهر بونابي من أقرب الطلبة للدكتور المرحوم موسى لقبال، هل من ذكريات عالقة عن هذه الشخصية العلمية الفذة؟

في حضرة الأستاذ موسى لقبال كان يستقيم اللسان ويتزن التاريخ ويُفرق بين العقائد والمذاهب وتصفو الشريعة. إنه رحمه الله بحق نادرة من نوادر الفكر الإسلامي في شمول فنونه، تراه صارما فتعتقد أن في طبعه النفور، ولكن إذا دنوت واقتربت من شموله فإنك تستكشف أنك صغير أمام شيخ عملاق صرح مشيخته شامخ، لذلك كان ينظر إلينا من أعلى هذا الصرح ونحن في السفوح وهي المسافة الطبيعية التي تفصل بين المشيخة الحقة والطالب المجد، وإليك واحدة من مظاهر صروحه أحكما للطلبة والمتدرجين ويتعلق الأمر بطريقته في تصحيح أوراقنا ونحن قلة من الطلبة في الدراسات المعمقة بجامعة الجزائر (1989-1991 م).

كان يصححها وفق هذا الشمول، فإذا أصبنا في صحيح الأحداث والوقائع -التاريخ-
يمسكنا بكماشته في مواطن الأسلوب والتركيب ومجمل اللغة، فقد كان من أبرز نحاة هذه
البلاد، وكلما عبرنا بتكلفة من هذا المستوى، تجده ينقلنا إلى المتشابه وأشكال المقارنات
والمقاربات الموسوعية في موضوع الامتحان، فيذكرك بهذا القسطاس العلمي بكبار
الموسوعيين الأوائل في الحضارة العربية الإسلامية أمثال الجاحظ وابن قدامة والمسعودي،
وذاك هو بحرهم ومداد كلماته الذي لم تكن تقوى أشرعتنا على رياحه، فلا تحكم عليه
بالظاهر:

وانظر للفظ يا مغرماً فيه ... من حيث نظرنا لعلك تدريه

س- إن المتتبع لكتابات الدكتور الطاهر بونابي يستنتج بأن الرجل تأثر كثيراً بمنهج المؤرخ
أبو القاسم سعد الله في الكتابة التاريخية رغم فارق التخصص بينهما؟

إن جوهر إعجابي بالتجربة الكبيرة في الكتابة التاريخية عند الأستاذ سعد الله والتي
أنجزت حولها العديد من الدراسات، ليس في طبيعة الموضوعات التي تناولها في التاريخ
الثقافي الوسيط والتي تعد انتقائية لها رسائلها في الحاضر العربي والإسلامي المتردي، وإنما
في مجمل الطرق المنهجية والمعرفية التي استقاهها من مصادر عصر الأنوار الأوروبي خلال
القرنين 18 و 19 الميلاديين، ومما اكتسبه عن رواد المدرسة الأنجلوسكسونية الذين
عاصروهم في العقود الأربعة الأخيرة من القرن العشرين، والتي وظفها في قراءة وتفسير تاريخ
الجزائر الثقافي، مبتعداً به عن القواعد المنهجية التي ارتضتها له مدرسة الحضارة العربية
الإسلامية من منظور اعتقاده بأن تواريخ الأمم تكتب بأدوات اليوم.

وهذا الجانب العلمي والمعرفي من التاريخ هو من شكل المشترك بيني وبين الأستاذ
سعد الله في النظر إلى الظواهر الثقافية، ثم إن تفردته في موسوعته التاريخ الثقافي بطريقة
في الكتابة مضمونها عقلنة هذا التراث والنفخ فيه بدافعية الفكرة الواعية -الإسلام-، يعد

باكورة طريقة جزائرية في كتابة تاريخنا الثقافي، وعلينا الالتفاف حولها وترقيتها أكثر. وأشدد هنا على مصطلح الطريقة خلافاً للمنهج أو المدرسة المرتبطان بشروط حضارية وتطور واسع في شتى العلوم، نحن اليوم خارج حركته.

س- جالس وعائش الدكتور الطاهر بونابي مشرفه الدكتور عبد العزيز فيلاي لسنوات طويلة هل من كلمات مختصرة عن هذه الرفقة العلمية؟

ليس هذا موقف الاختصار ولكن لمساحة السؤال حدود، إن ما كتبتة حول الدرس والإشراف عند شيخي عبد العزيز فيلاي أو ما قمت بدراسته في مستوى مجمل المبادئ والمعارف التي كتب بواسطتها مؤلفاته، ما هو سوى النزر القليل مما أفكر فيه والذي أنوي تجسيده فعلاً وبعضه الآن خطاطة على مكتبي. وقد احتاج مني ذلك إلى الاستعداد والتكوين في مستوى المناهج ومعارف التاريخ، وخصوصاً وأن كتاباته في الآونة الأخيرة تشعبت امتداداتها إلى أزمنة في التاريخ القديم والحديث وقضايا العصر والفكر، مما ضاعف من إحساسي بالمسؤولية حيال هذا الجهد الكبير، وخصوصاً وأنه كساني بهيبة كبير تلامذته.

س-/ كان للدكتور الطاهر بونابي سفريات علمية عديدة خارج الجزائر نحو المغرب الأقصى وتونس وتركيا ... ماذا أكسبته هذه الرحلات؟

أكسبني هذه الرحلات إلى جانب المتعة العلمية والاقتصاد في انجاز أبحاثي والراحة النفسية، كذلك إقامة نسيج من العلاقات مع العلماء الباحثين في هذه البلدان. ثم إن الرحلة كانت لي ولا تزال أكبر فضاء رأيت فيه الماضي المندثر حياً في تقاليد وأعراف شعوب هذه البلدان، فمن خلالها يدرك المرء المشترك الروحي والثقافي والحضاري الذي يشعرك بوحدة دار الإسلام حية تتناغم وأشاجها مع كل حوار.

س- يقال بأن الدكتور الطاهر بونابي يتعامل بصرامة فوق اللزوم مع طلبته (تدريسا وإشرافا) ما مدى صحة ذلك؟

يرونها صرامة فوق اللزوم، وأراها من أدب الدرس وعنقوان المعرفة وأساس البحث وضمان نجاحه. فلا تخاذل ولا تهاون في صناعة العقل قوام الحضارة والإنسانية الفذة.

س/- لو نغوص في بعض جزئيات حياته الخاصة، لماذا قاطع الدكتور الطاهر بونابي من البداية شبكات التواصل الاجتماعي، فهل يراها سلبية لهذه الدرجة؟ وما هو سر توقيت الاربعة صباحا في يومياته؟ وهل يمكن اعتباره أحد أسرار نجاحاته العلمية؟

كلا لا يوجد وجه واحد لكل ظاهرة فأنا أستخدمها كمنصة للتواصل الخاص في قضايا نشر أبحاثي وفي التواصل بالعلماء والمؤسسات الأكاديمية ومخابر البحث، أما فيما يخص التواصل مع الجمهور الجامعي، وربما هذا المقصود من السؤال، فأعتقد بأنه لا وجود لحوار علمي حقيقي اليوم تطرق فيه موضوعات الاختصاص على أصولها أو في علمويتها حتى تسمح لي جاذبيتها بالخوض في غمارها. أما التواصل الاجتماعي بمعاني الاستهلاك فلا أعتقد بأن عمرا واحدا يستوفيه بل يحتاج إلى أعمار وهذا غير متاح لنا نحن البشر.

لا يجدنني شروق الشمس، إلا وأنا أقرأ أو أكتب وذلك من فضل الفجر في قلبي وأنواره على عقلي، درجت عليه في شبابي ووصلته بكهولتي زمنا يصفو فيه ذهني مع موعد كل فجر من أشغال الحياة، فأقتنص من التاريخ معارفه وأرتقي في معارجه وأسري في منازعه.

س/- لماذا فضل الدكتور الطاهر بونابي الاستقرار في بلدة عين تاغروت الصغيرة على غيرها من المدن الجزائرية الكبرى التي درس واشتغل بها؟ وهل سيكتب عنها يوماً؟

قد يضيق مكان الحوار في الموضوع هنا، لأنه يتعلق بعروقي وجذوري في هذه البلدة، فهي موطن آبائي وأجدادي الذين يستمد منه بيتنا اليوم جذوره وأصالته. فمن جدي عيسى بن أحمد بن الحسين البونابي نستمد عرف الوجاهة، كما كان في العشرينات والثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين واقفاً على تمثيل عين تاغروت باسم شيخ الدوار عندما كان زعماء الاتجاهات الوطنية يحطون الرحال بها، وهي حين ذاك بلدية مختلطة منذ 1880م، وكان آخر حوار ه سنة 1943م بحانوته المقابل لدار البلدية مع الزعيم فرحات عباس حول مستقبل البلاد وحكم الكولون.

أما أم جدي كلثوم الرجوحية دفينة مقبرة كاف الحمام سنة 1934م فكانت الطيبية المداوية للأهالي والكولون معا لما حباها الله من معرفة واسعة بالطب الشعبي الذي خبرته ببلاد القبائل، ومع أبي وإخوتي استمرت حرفة التجارة في بيتنا، بينما كانت أم أبي جدتي زينب الجدوية قصاصة من الطراز العالي تواصل الأربعين في تغريبة بني هلال وتغزل خيوط الروايات حول هارون الرشيد والبرامكة والحكايات الشعبية والأمثال الموزونة والطريقة في آن واحد، وقد أدركت مجلسها العامر في صغري حتى عام 1976م، وزاد في أرومة بيتنا منزلة زوج عمتي سي الميلود بن الميلود آخر أحفاد الولي سيدي الميلود صاحب الضريح غرب عين تاغروت الذي كانت أخلاقه الإنسانية الحقة ورواياته حول الأولياء تثير اهتمامي منذ طفولتي.

فمن جدي ثم أبي احترف بيتنا التجارة، ومن أمه اكتسبنا حرفة الطب السارية في الأبناء، ومن والده أبي القصص والأخبار الطوال - التاريخ - وبذلك صار طابع بيتنا يجمع بين عرف التجارة والطب وكتابة التاريخ الذي أنهض بها أنا اليوم، لذلك تجدني مثقلا بهذه الأمانة على أرضها.

أما فيما يخص الكتابة عنها فحتمًا سيكون ذلك لكن عندما أحصل على التقاعد إن شاء الله لأنني اليوم منشغل بأبحاثي الأكاديمية، فلطالما سألت نفسي عن دلالتها الطبونومية وكنيتها البربرية التي لم يجرأ الاستعمار الأخير على تغيير اسمها ومجمل تفسيره أن معناها مدينة السهل والصخر ترحب بك سهولها من أية ناحية دخلتها ويلقاك صخرها في مدخلها ومخرجها، فيها آثار البربر الأوائل وعمران الرومان والبيزنطيين تحت الأنقاض والأترار والفرنسيين وقد اندثر منها اليوم الكثير بسبب الأيدي العابثة بزمن الآخرين وثقافتهم.

لأن غريب الجغرافية يأبى ألا أن يجسد طبعه في الأوصاف والتصرفات، ومن هذا الباب سأكتب تاريخ هذا العمران المندثر بأوصافه المادية والهندسية وتاريخ بناته وكيف بني؟ ولماذا بني؟ وكيف ترفلنا في جماله وأثر في سلوكنا؟ ومن هدمه؟ وكيف هدمه؟ ولماذا هدمه؟ ليكون دليلا على حياة راقية عشناها قبل أن تعبت هذه الأيدي بهذا التاريخ في العقود الثلاثة الأخيرة من هذا الزمن.

- كلمة أخيرة:

إلى التاريخ وله الحكم على أعمالنا وأفعالنا. أما الذين يشيعون اليوم التخاذل ويكرسون الرداءة ويرعونها بالمنصب والقرار فإن مصيرهم الهامشية في موكب العاملين ولا يلتفت إليهم التاريخ ولا تأخذ منهم العبرة ولا يستمد منهم النظر ولا يتخذون مثالا.





مجلة العمران البشري للدراسات التاريخية العابرة للتخصصات

هي دورية دولية محكمة نصف سنوية تصدر عن مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة بجامعة أكلي محند أولحاج البويرة - الجزائر، وتعنى بالدراسات والأبحاث التاريخية الأصلية والجادة التي تتقاطع فيها التخصصات العلمية المختلفة مع حقل التاريخ لتعالج إشكالياته من مناهج عدة، وتسهم في تطوير المعرفة التاريخية ومناهج تقديمها للتلقي. لها هيئة تحرير أكاديمية وهيئة استشارية عالية المستوى تحرص على جودة محتواها. تنقسم المجلة إلى محاور عدة تشمل الأنشطة البحثية الآتي ذكرها:

دراسات: يتضمن البحوث العلمية الأصلية المكتوبة باللغة العربية، بشرط احترام قواعد النشر الخاصة بالمجلة.

في الترجمة: ينطوي على ترجمات إلى اللغة العربية لأبحاث جادة ومتميزة، أو أعمال منهجية ترجمية تخدم الكتابة التاريخية.

عروض الكتب والأطروحات: يقدم قراءات في كتب أو أطروحات أو مؤلفات تتضمن أعمالاً مهمة للبحث التاريخي.

بلغة أخرى: يعرض بحوثاً علمية أصلية بأي لغة من اللغات العالمية غير اللغة العربية. وثائق ومخطوطات: يتضمن العمل على وثيقة مهمة، أو تحقيقاً لمخطوط فيما لا يتعدى حجم المقال العلمي.

حوار: يشترط فيه أن يتجافى عن العمل الصحفي لصالح البيوجرافيا والمساءلات العلمية، وأن يكون في حجم المقال.

المجلة ذات طابع دولي، وإذالك فهي مفتوحة أمام كل الباحثين من الجزائر وخارجها الراغبين في نشر أعمالهم العلمية في أي من هذه المحاور، كما تقبل تقارير المتعلقة بالمؤتمرات والأنشطة العلمية المتصلة بصميم اهتماماتها البحثية.

قواعد النشر في مجلة العمران البشري

1- قواعد الشكل:

- يجب أن يكتب البحث بما يتوافق مع قالب المجلة (Template) المعروف في "دليل المؤلفين" والقابل للتحميل باللغات الثلاث (العربية - الفرنسية - الإنجليزية)، والذي يستجيب لشروط الحفاظ على سلامة المحتوى أثناء عملية التنسيق الشكلي للمجلة، والأعمال التي ترسل إلى المجلة دون أن تتوافق شكلياً مع قالبها تردّ إلى أصحابها من أجل التحسين.





- يجب أن يكون العمل العلمي جديدًا لم يسبق نشره بأي طريقة إلكترونية أو ورقية، وفي حال تم استعماله مسبقًا في نشاط علمي (مؤتمر، ملتقى، يوم دراسي...) يتعين ذكر عنوان الملتقى وتاريخ انعقاده والعنوان الأصلي للمدخلة، واستثناءً يمكن إعادة نشر بعض الأعمال لتمييزها العلمي مع محدودية انتشارها بين المختصين.
- يجب أن يكون البحث في جانبه اللغوي سليمًا وراقيًا، وفي حالة وجود أخطاء بكثرة تخلُّ بقيمته المعرفية يحقُّ للمحكمين رفض المقال أو قبوله بتحفظ شرط عرضه على مختص لغوي لمراجعته وتصويبه.
- يجب ألا يزيد عدد صفحات العمل العلمي المرسل للمجلة عن 35 صفحة وألا يقل عن 10 صفحات، بما في ذلك المراجع والهوامش والجداول والأشكال والملحقات.
- يُعتمدُ في التهميش إلزامًا نظام الجمعية الأمريكية (APA) الآلي أو اليدوي، كما هو الأمر لدى معظم المجالات العالمية.

2- قواعد المحتوى:

- يجب أن تتضمن الأبحاث:
- عنوانا واضحا وفق مناهج العنونة العلمية المتعارف عليها.
- ملخصًا باللغات الثلاث (العربية - الفرنسية - الإنجليزية) لا يتجاوز كل واحد منها 10 أسطر.
- مقدمة تتضمن إشكال البحث وأهدافه وأهميته وفرضياته وأطره المفاهيمية والمنهجية المعتمدة فيه.
- متنا ينبغي أن يتضمن مقارباتٍ عابرة للتخصصات أو على الأقل مُنطلقة من تخصصين (التاريخ وتخصص آخر).
- خاتمة تتضمن النتائج التي خرج بها العمل العلمي والإشكالات والآفاق البحثية التي يفتح عليها.
- قائمة ببليوغرافية تتضمن مصادر البحث ومراجعته بأنواعها الأرشيفية والشفوية والورقية والإلكترونية.

3- التحكيم:

- تخضع الأعمال العلمية المرسلة وفق ترتيب تاريخ إرسالها للتحكيم السري من قبل محكمين مختصين مؤهلين لذلك، بحيث تعرض الأعمال على محكمين اثنين للقراءة وتقديم تقارير بخصوصها (القبول للنشر، القبول بتحفظ، الاعتذار عن النشر)، وعلى الباحث الاستجابة لطلبات التعديل في حالة قبول عمله بتحفظ، وفي حالة الخلاف يعرض العمل العلمي على محكم ثالث.
- تلتزم المجلة بناء على ميثاق أخلاقي بالسرية التامة حيال الأعمال العلمية المرسلة إليها من قبل الباحثين، ويشمل هذا الالتزام هيئة التحرير والهيئة الاستشارية العلمية والمحكمين والفريق التقني وكل من له علاقة بفريق عملها.

